مولانا المودودى رحمه الله: مجدد القرن العشرين

P. K. ABDUL GAFOOR II MA (Arabic)

إذا ذهبتم يوما إلى مركز بنجمين فرانكلن فى فلادلفيا (أمريكا) ترون ثلاثة صور: صورة للشهيد حسن البنا وأخرى لمولانا المودودى وثالثة لآية الله روح الله الخمينى. وكلهم زعماء المسلمين. وقد كتب فوقها بالثلث أنهم أدهى واخطر الناس فى التاريخ الحديث

أجل، المودودى هو أدهى الناس وأخطرهم على الصهانية والمستشرقين، زلزلوا بكتبه وخطبه، كان جثاما لأعداء الاسلام والمسلمين وفقيها ورعا مخلصا وعالما كبيرا وأديبا مطبوعا ومؤرخا عظيما وداعية اسلاميّا نادر المثال — ومولانا كان علما من أعلام الفكر الاسلامى فى عصرنا هذا وقائدا من قادة الندوة الاسلامية الحديثة وكان معروفا بنضج الرأى وسلامة التفكير. وقد عرفته البلاد العربية مؤسسا للحركات الاسلامية كما عرفته سياسيّا نافذ النظر، وعرفته المنابر خطيبا مصقعا يتّصف بمجموعة من الصفات الحميدة التى تجعله فى طليعة العلماء. كان واثقا بنفسه، مستقلا فى تفكيره، لايقف عند ظاهر العبارات بل يحاول التعرف على مراميها البعيدة والقريبة. على أن أهم ما يميّز شخصيّته فى التاريخ الاسلامى هو أنّه اعتقد بعقيدة وآمن بها إيمانا قويّا، وزخارف الدنيا كلها لم تستطيع تحويله عن عقيدته وعجز جميع ما لدى الحكومة من القوة بشرطها وسجونها وأدوات تعذيبها عن تحوله عن عقيدته — وتضائلت الدولة أمام عظمة هذا الانسان، ولعل هذه الصفات كلها هى التى جعلت منه مجاهد هذا العصر الاسلامى

ولد هذا المجاهد الكبير فى ٢٥ سنة ١٩٠٣ فى أورنغ آباد فى أسرة مشهورة بالعلم والثقافة انتسب إلى أسرة جشتى المشهورة. كان أبوه مولانا أبو أحمد فقيها عالما. ربى ابنه بعناية كل عناية. نهل المودودى من جميع منابيع الثقافة الاسلامية المعروفة آن ذاك. تعلم القرآن والحديث والفقه والأدب وكانت تبدو عليه منذ الطفولة ملامح النجابة والذكاء. فقد مضى يرتشف من مناهل العلم والأدب على يد زمرة صالحة من علماء عصره. وكان شأنه شأن أولى العزم وأصحاب النفوس الكبيرة. لم يكف بما حصل عليه من العلوم فعزم على أن يطلع على حضارة الغرب. ثم نقدها فى ضوء المبادئ الاسلامية كذلك تعددت ينابيع الثقافة

فيه وتوسّعت آفاق فكره وعلمه . وذاع صيته فى البلاد . وقصده الطلاب من كل صوب. قد استوعد ثقافة عصره ولمايتجاوز العشرين .

كانت حياته ممتلئة بالأحداث — عاش مجاهدا مناضلا لتوطيد أركان الحركة الاسلامية . حياته زاخرة بالنشاطات المتعددة الجوانب — حمل لواء الجهاد فى سبيل الاسلام . لم يعرف خلال حياته الراحة والهدوء — بهر الأبصار بقوته العظيمة . ومواهبه النادرة . وتقدم إلى مجال الصحافة فى عنفوان شبابه مع أخيه أبى الخير المودودى . وقد عمل محررا فى كثير من المجلات ،كالمدينة ، ،وتاج ، ،ومسلم ، والجمعية ، وغيرها وأصدر مجلة شهرية إسلامية سماها ، ترجمان القرآن ، تحت ملكيته لتكون منبرا يعبر عن قضاء لإسلام والمسلمين وهذه المجلة موسوعة اسلامية كبيرة تحتوى على ثمرات تجاربه وآراءه فى الإصلاح الدينى والسياسى والاجتماعى .

فى العصر الذى نشأ فيه الأستاذ المودودى قد شرعت عوامل الضعف تدب بين المسلمين وقد برزت الصهيونية من جديد تكيد للعالم الاسلامى وتتآمر عليه وتدس له الد سائس أما انتشار البدع والخرافات وظهور أنواع متعددة من الشرك فلم يساعد إلا على أن يزيد الطين بلة . وكانت هذه العوامل تفعل فعلها فى نفس ذلك الشاب المتوقد حماسة للدفاع عن بيضة الإسلام . فأزال جميع العراقيل التى تحول دون التوحيد والعبادة الخالصة . وحطم ما أحاط بالإسلام من الأوهام وارتشف الاسلام من معينه الصافى وعرفه الأوساط العلمية عاملا على توضيح أسس الفكر الاسلامى الأصيل لتنقيته مما علق به من شبهات كذلك أدى دوره حق الأداء فى وقت كانت البلاد فى حاجة إلى أمثاله .

وقد أكد مولانا وزملاؤه حاجة اتفاق الحركات الاسلامية فى الهند حتى تستطيع أن تقيم الإسلام على طبيعته الحقيقية . وأفهم رؤساء المسلمين أن القوة تكون لهم إذا اتحدوا فى جماعة واحدة تنهض لجلب المصالح ودفع المضار . وهذا ما حققته الجماعة الاسلامية . واجتمع مولانا وأصحابه الذين يشاركون تفكيره فى أغسطس سنة ١٩٤١ . وأسسوا هذه الحركة الثورية الاسلامية أى الجماعة الاسلامية

تهدف الجماعة هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض حتى يكون خليفة الله فى تحقيق المحبة والعدل وحتى تكون كلمة الله هى العليا فى كل زمان ومكان. ولذلك عارض المولانا رابطة المسلمين فى اتباع سياسة قومية ومكان سياسة عقائدية.

وانتقل المودودى إلى باكستان بعد تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ وبذل كل جهده فى تأسيس حكومة إسلامية هناك. ولكن أعداء الاسلام شرعوا فى هدم ماكان بانيه فى هذا الجو. عانش مولانا وذاق حلاوة العز كما ذاق مرارة السجن والدسائس والحسد. ولم يكن المودودى إلا مجددا ومجتهدا يعيد الانسانية إلى ماكان عليه السلف الصالح من فهم صحيح الإسلام. وبلغ تأثيردعوته من القوة مدى لم يبلغه تأثير دعوة أخرى منذ عهد بعيد. ولقد تأثربه رجال الاصلاح الإسلامى فى مصر وإيران والهند وأمريكاواوربا وهلم جرا. واقتبس علماء المسلمين فى العالم كثيرا من أفكا ره وآرائه. ولكن بعض الجهلاء يتهمون آراءه ويتخذونها سخريا إذ سموها بالمودودية. كلا، إنهاكلمة هم قائلوها! وإنماهى دعوة إسلامية شاملة تهدف إعادة النظم الإسلامية إلى نصابها بعد أن ضلت ضلالا بعيدا.

كان المودودى مفكراوفيلسوفا مع انه كان ماهرا فى مجال التعليم. وقد استفادالمنهج التعليمى فى جامعة المدينة وفى جامعة عليكره بأفكاره الناضجة. كان من مؤسى رابطة العالم الاسلامى وعضوا فى مجلس المساجدوندوة الفقهاء.

وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٩ انتقل مجدد هذا العصر إلى جوار خالقه من مستشفى «بافلوا» فى امريكا. فقد العالم الاسلامى علما من أعلام الخافقة وذروة من ذراه الشامخة بوفاة فضيلة المرحوم المودودى. فلم يرض المرحوم بأن يكون العلم الاسلامى كلاما يحفظ ويردد ولا بأن تكون دراسات الاسلام ملوكا تلوكه الألسن مواعظ تقف عندها الآذان بل حاول جهده لتنفيذه.

ان الفكن الاسلاى يشهد لفقيدنا الكريم فى صفحات مشرقة ينورالسماء مجلاة بخير العطاء ومجلاة بصدف القصد. وكأنه بكلماته الوضاءة كان يرسم طريق السلام للبشرية. طيب الله ثراه وأجزل مثوبته.